الرسائل المغفلة

قصة بقلم البرتو مورافيا

ذلك الشتاء ، اذ الفيتني في بلدة ب بسبب الدراسة ، اقمت صداقة مع المدعو طوريزي ، الموظف في البلدية .

كنا نسكن معا في بيت ارملة ، كانت تؤجر الغرف . وطوريزي بردائه الاسود ، بين حجرات الارملة المشادة فوق الدرج الصعب الارتقاء ، والقاعات المزخرفة في القصر البلدي ، كان يقضي عمره. كان شابا اشقر ، ذا وجه ابيض ومرتجف قليلا ، من طراز قصير وبدين ولكونه كان يضع نفسه باستمرار ازاء تفاهته ووضاعته وجهله، بالحاح مزهو تقريبا ، ادركت انه كان مغرورا كثيرا . من هذا الغرور الذي يفضل بالضبط ، ان يحقّر ، خشية ان يحقّر . لكي اقول الحقيقة ، كان رأيه عن ذات نفسه، تواضعا مزيفا يتجاوب مع الواقع . فطوريزي الذي كان يعلن عن نفسه في كل لحظة ، رجلا عبقريا وذا ثقافة نادرة ، لم يكن يقدر كم هو فظ وقاس حقا ، لكن تحت هذه القشرة، كان يخفي روحامعقدة، يخدمها ذكاء مخادع ، اذا لم يكن حاذقا .

بعد العمل ، كنت التقي به دائما . وبسرعة غدونا صديقين . في مدينة اقليمية ، حيث الازدحام والعلاقات البشرية تزدحم بشارع ليس هو بأطول من مئة خطوة ، وفيه زوج من المقاهي ، ليس من الصعب ايقاظ الانتباه . لهذا لم اعجب كثير عندما استلمت اول رسالة مغفلة ، على ورق ذي سطور مربعة ، وفي مغلف صغير كان يبدو مهترئا ، كنت احاط علما باني كنت مخطئا في منح صداقتي للسيد طوريزي . واردفت الرسالة ، بأنه شخص غير مخلص ، حسود واش ، قادر على تخطيط المؤامرات التي لا تصدق .. « كن حذرا الخ ، الخ.. » وفي مكان التوقيع ، كانت العبارة المبهمة «صديق »..

القيت الرسالة في سلة المهملات . وتابعت الذهاب الى حجرة طوريزي .

بعد بضعة ايام ، وصلت الى يدي رسالتان غيرها . كانوا يتابعون في هاتين الرسالتين ، وصف شخصية طوريزي باسلوب مناهض وفي النهاية ، يحذرونني من انه في وقت قريب جدا ، سيكون لدي البرهان ..

وانقضت ايضا بضعة ايام فوردت رسالة رابعة تدقق : طوريزي كان يقامر ويخسر . سيطلب مني اقراضه نقودا ، فيجب الا اقرضه. لان طوريزي كان محتالا ..

وفي تلك الليلة ذاتها ، طرق بابي ، فدخل طوريزي وهو كثير الانفعال ، قائلا انه الفى نفسه مضطرا لان يرجوني معروفا . لم اتمكن الا ان اهتف :

« اراهن على انك ستطلب مني ان اقرضك نقودا » فبدا كثير الدهشة من عباراتي وانكر سريعا . لم يكن بحاجة للنقود ، بل لربطة عنق سوداء للرسميات . اذ كان عليه الذهاب الى حفلة .

بقيت مضطربا وفكرت ان طوريزي اخفى مقصده بدافع الخشية .

لكن الرسالة الخامسة المغفلة ، كانت اكثر خطورة .. فبكثير من الاحتياطات ، كان تعلمني ان طوريزي ينوي خطف ليفيا ابنة الارملة صاحبة البيت ، ذات الثمانية عشر عاما . والفتاة كانت موافقة (هكذا تتابع الرسالة) اذ كانت مرهقة قبل ان تخدع بحديث طوريزي الطلي... لكن يجب ان امنعه ، لان طوريزي لم يكن يفذي نوايا جدية ، وبالتاكيد لن يتزوج من ليفيا... وكانت الرسالة تحدد للاختطاف ، ليلة السابع من تشرين الثاني . وتسهب ايضا ، الى ان طوريزي كان لديه ايضا شريك في المؤامرة .. صديق سينتظره والفتاة بسيارته في زاوية الكاتدرائية .. وسيحملها الى البلدة المجاورة ..

في هذه المرة صممت على ان افتح عيني جيدا ، ليس لمنع الخطف.. اذ ، لكي اقول الحقيقة ، قليلا ما كان يهمني .. لكن لاتبين من هو كاتب مثل هذه الرسائل . واخطاء عديدة في الاملاء ، والكتابة الخشنة والسطحية ، جعلتني للحظة ، اتشكك بالخادمة .. لكني كنت مخطئا . فالفتاة المسكينة كانت امية . حينئذ ، ازفت ليلة السابع من تشرين الثاني ، وها نحن جميعا ، الاربعة .. الارملة ، الابنة ، طوريزي وانا جالسون على الطاولة العادية، في قاعة الطعام ، مغتبطين بلعبة ورق عائلية . ومع اني مشترك في اللعب ، كنت اتطلع الى ليفيا ذات الوجه الاسمر الجميل والمطمئن . واسأل نفسي اذا كان يوجد ثمة حقيقة في قصة الخطف تلك . وطوريزي ايضا ، كان هادئا . لكن هدوءه بدا لي مزهوا تقريبا ، انهاحقيقة ، ففي كل حركاته كان ثمة زهو . كممثل رديء واذ انتهت اللعبة ، حيتنا المرأتان وعادتا الى غرفتهما . وبقي طوريزي قليلا من الوقت ، وبعدها انسحب هو ايضا . فمضيت الى غرفتي وجلست على السرير ، امام الباب المطبق فقط .

مضت ساعتان او ثلاث دون ان تصل من غرفة الجلوس ضجة اخرى غير ضجة الساعة الثقيلة ذات الحبل الوحشي ،الذي لا يكل كنت اتثاءب واتكاسل ، واغالب النعاس ، كنت مستعدا للاغفاء عندما ايقظتني طرقعة خطى مصطنعة ، فقذفت بنفسي خارج الحجرة ، وواجهت طوريزي مرتديا ثيابه ، وبقبعة مشدودة فوق عينيه ، كان يتجه الى مخرج المنزل .

اوضح لي انه عندما لم يتمكن من النوم ، فكر بالتمشي خطوات في الجادة : « لماذا لاارافقه » ؟

قبلت الدعوة ، وها نحن في الجادة المعتمة والمقفرة في تلك الساعة ، تحت مطر خفيف .

وكان طوريزي يبدو ذاهلا . وان كنت افكر في الخطف . فقلت له :

ـ انت ، فيهذه البلدة ... وربما في نفس البيت الذي تسكنه ، لديك عدو ..

ـ واحد فقط ؟

سخر طوريزي .

فأجبت : ـ لكنه عنيد ـ

وفي كلمات قليلة ، حدثته عن حكاية الرسائل المغفلة ، وخاصة بصدد الاخيرة ، التي هي حول الخطف .

وكنا قد وصلنا الى الساعة . وبدا يظهر لي خلف زاوية الكاتدرائية بالضبط ، في العتمة الممطرة ، شكل اسود لسيارة واقفة ..

قال طوريزي ببساطة :

ـ ان من كتب تلك الرسائل ، هو انا !

فعجبت ، ليس كثيرا للايضاح ، بقدر ما هو لكوني لم افكر قبلا بذلك وعندما لم ادرك الدافع على سلوك فريد جدا كهذا ، سألته :

ـ ولماذا ؟

فهز كتفيه :

ـ لالهو

خرجت السيارة من ظل الكاتدرائية بمصابيح مطفأة . ومرت بتمهل محاذاتنا . فأتى طوريزي بيده حركة سريعة ، كمن ليطرد ذبابة ، لكن كان بوسعها ايضا ان تكون حركة للرفض . واوضح :

ـ في الاقليم ، اننانقلق...

لحظتئذ ، ابتعدت السيارة ببطء على الاسفلت اللامع بين صفين من القصور في الظل . وبد لي ان طوريزي كان يرسل نحوي نظرة حزينة تقريبا . فسألته :

ـ لكنها تلك ! كانت هي السيارة التي ...

ـ حتى ولا بالحلم .

اجاب طوريزي رأسا :

ـ لا ادري اية سيارة هي هذه .. سيارة ما !..

والحجت :

ـ لا ادري اي شخص هو الذي يلهو متهما نفسه بالمساوىء والجرائم الخيالية .

فأجابني :

ـ انها تكفي لتمضية الوقت ..

ـ وليفيا ؟

ـ لا تحدثني عن تلك البلهاء ..

وتناول طوريزي من جيبه رسالة مثل تلك التي كنت قد استلمتها . وسلمني اياها :

ـ هذه هي الاخيرة .. كنت خارجا لاضعها في البريد . فمن الاجدى ان اسلمك اياها بذات يدي ، فأوفر بذلك طابع البريد .. في هذه الرسالة ، انبهك من ان ليفيا لم ترد الفرار معي ، لانها في الواقع تهيم بك ..

ـ بي ؟

ـ نعم ، بك .. ادري انها ليست الحقيقة .. انها فقط لتقديم مبرر ..

ـ « قادر على تخطيط مؤامرات مرعبة ...» لكن على الاقل ، أستطيع ان أعرف بمن هي تهيم ؟

ـ بلا أحد

قلت بذهول :

ـ بكل تأكيد ، بلا أي واحد منا .. ربما بابن خالة لها ، طالب .. او بأحد غيره .. لا يهم !

كنا قد وصلنا قرب مدخل بيت الارملة . فسألته :

ـ والاخطاء الاملائية ؟

في هذه المرة ، دهش بحق ، واعترض :

ـ لكن ، اية أخطاء ؟

قلت :

ـ «achacador» ب «s» و propio بدلا من proprio لقد وصلت الى الاعتقاد بأن الخادم هي التي كتبت مثل هذه الرسائل .. هل اخطأت عن قصد ؟

فرأيت وجهه يكسوه الحزن ، ممتهنا . وقال بصوت متألم :

ـ لم أفعل شيئا عن قصد . عندما أكتب لا أرتكب أخطاء .. ليلة سعيدة .

بعد بضعة أيام ، تركت بلدة ب. وسألت نفسي مرارا كثيرة ، لاي سبب بعث طوريزي تلك الرسائل المغفلة . وانتهيت بأنه كان رجلا بلا رغبة ولكنه ذو نزوات ..

كان يكتب لانه لم يكن ذا شجاعة لان يعمل او لان يحرض نفسه على العمل . وبصدفة غريبة ، عرفت ان ليفيا قد هربت من البيت ، لكن ليس مع طوريزي ..

ترجمة عوض شعبان

دار الاتحاد

للطباعة والنشر

تقدم

مصير أفريقيا

دراسة وافية عن تطور القارة السوداء

تأليف **ايف ديسار**
ترجمة **غياث حجار**

*

نجمة

للروائي الجزائري **كاتب ياسين**
نقلتها الى العربية **ملك ابيض العيسى**
راجع الترجمة **سليمان العيسى**

*

وجها لوجه مع القومية العربية

تأليف **جاك بولان**
ترجمة **غياث حجار**

*

الشيطان والاله الطيب

مسرحية **جان بول سارتر** الرائعة
نقلها الى العربية **غياث حجار**

*

يصدر قريبا :

الديموقراطية

تأليف **جورج بوردو**
ترجمة **سالم نصار**

*

دار الاتحاد للطباعة والنشر ـ مطابع دار الصحافة
محطة الناصرة ـ بيروت

*

تطلب منشورات دار الاتحاد في البحرين من
وكيلها : الشركة العربية للوكالات والتوزيع